

أفلا تنزع معى إلى هذه الحياة البدوية التى تحملك حملا على الحل والترحال وتحويل الحال. فأنت تارة تدعو إلى ما ينوبك فنى جواداً يملا القصاع، شجاعاً يضرب رءوس الكماة المدجين فى السلاح، وأخرى توفظ رفاقك الذين انتشوا كرى لا خمراً، فأناخوا رواحلم بمكان غليظ. لقد وقعت النوق أول الليل حيث شجر المرخ ملحقاً ومنتجاً، ورفه الفتیان عن فلائصهم، وعن أنفسهم فى اغفاءة قصيرة لم يشأ ((الشمخ)) أن تطول فهو لا يسمع لهم أن يريحوا ويستريحوا الا بقدر ما تشرب الطير - قليلا كحوس الطير - ثم النجاء النجاء على كل مفتولة الذراعين طويلة العنق تامة الخلق...

قلت: مهلا سيد الشيخ، فنحن فى عصر الطائرات النفاثات لا عصر القلص الناجيات. وليس من مقتضى السفر الآن أن تكون أشعث أغبر. وأن تجر الشواء ملهوجا ولما ينضج كلا بل أنضجه ما شئت أو شاء لك الانضاج. أو ان أردت واقع الحال لاتنضجه فإن غيرك يؤدى هذا عنك، وما عليك الا أن تأكل هنيئاً مريئاً، لقد ضرب الدهر بحجاب كثيف بيننا وبين الشمخ وشعره ووسائل عيشه بل لقد نقصت قواعد السلوك التى لعله كان يحسبها باقية ما بقيت السموات والأرض، نعم. نقصت واستبدل بها نقائصها. والا أفيرضى سيدى الشيخ، وإذا رضى أفيرضى له زملاؤه فى المجمع اللغوى أن يبدو ((منخرق القميص)) أو ((ممزق الثياب)) أو أن يقدم لضيفه قصاع الشيزى وقد فاضت بما لذوطاب فى ذوق البادية البائدة. أقول البادية البائدة فما أحسب الاعراب يحيون فيها ويأكلون ويشربون كما كان آباؤهم الاولون يفعلون. ان حاضرننا لكفيل أن يشغلنا عن ماضينا، وقد يسوغ أن يتجه فكرنا إلى ما نتوقع أو ننتظر مما هو آت، أما مافات، فهيهات هيهات.

انى لاستحى أن أتحدث إلى أساتذة الجامعة - بلغة العامة - عن ((ضمير أنخن بجعجاج قليل المعرج)) و((ملقح من عود مرخ ومنتج)). ليكن هذا الحديث اذن حديثنا وحدنا وهو حسبنا أو نحن حسبه فما أظن غيرنا من الناس مضيعاً